**خطبة بعنوان: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾**

**في صحيح البخاري، عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الكَهْفِ، وَإِلَى جَانِبِهِ حِصَانٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَدْنُو وَتَدْنُو وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: (تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بِالقُرْآنِ) (بشطنين) تثنية شطن وهو الحبل.**

**الرسول صلى الله عليه وسلم يسنّ لنا قراءة سورة الكهف كل يوم جمعة، لماذا سورة الكهف؟ لماذا؟ لأن في سورة الكهف أحداث قصة موسى والخضر عليهما السلام، وما أدراك ما شأن أحداث قصة موسى والخضر عليهما السلام؟ إنها أحداث وأقدار إلهيه في ظاهرها العذاب، وفي باطنها الرحمة.**

**وكأني برسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول لنا: أقرأوا الكهف، وأقرأوا أحداث قصة موسى والخضر، وأقرأوها كل جمعة، فإنها ستمرّ بكم، في حياتكم، وستقع لكم، ولغيركم من أمتكم، أحداث وأقدار، كالتي وقعت مع موسى والخضر عليهما السلام، أحداث وأقدار إلهيه في ظاهرها العذاب، وفي باطنها الرحمة.**

**وكأني برسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول لنا اقرأوا أحداث قصة موسى والخضر عليهما السلام، حتى تروا حكمة الله في أقدار وقضاءات وأفعال إلهيه، في ظاهرها العذاب وفي باطنها الرحمة.**

**إقراؤها حتى إذا ما وقع لكم، أو لغيرهم كتلك الأقدار، لم تكونوا ممن (تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا)(الأحزاب،10).**

**اقراؤها حتى لا تكونوا من الذين (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ)(آل عمران،154).**

**اقراؤها حتى لا تكونوا من (الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ)(الفتح،6).**

**إقراؤها حتى لا تكونوا من الذين "يسألون الله عما يفعل".**

**إقراؤها حتى تكونوا من الذين (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)(البيّنة،8)، من الذين يقولون: (أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)(البقرة،131).**

**﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾.**

**أيها الإخوة: إن من ينظر إلى ظاهر أفعال الخضر عليه السلام، هكذا مجردة، يجزم بأنها شر محض، لا رحمة فيها، ولا حكمة لها.**

**فأيّ رحمة تلك في خرق سفينة تحمل ركابا، بل أي حكمة في تدمير أموال المساكين والضعفاء والبسطاء، وأي رحمة في قتل الغلمان، بل أي حكمة في قتل الأطفال. وأي رحمة في بناء وإعمار شيء لا علاقه لك به، بل أي حكمة في جهد لا مقابل لك عليه.**

**ولكن الله الحكيم سبحانه، حصر أفعال الخضر هذه، التي تيدو غريبة عجيبة مسلوبة الحكمة والرحمة في ظاهرها، حصرها بين قوسين اثنين: كُتب على القوس الأول: (رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا)(الكهف،65). وكُتب على القوس المقابل الأخير: (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ)(الكهف،82). وختم أفعال الخضر عليه السلام، يقوله: (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي) (الكهف،82). يقول الخضر: وما فعلته عن أمري، فالأمر أمر الله، والقضاء قضاؤه، والفعل فعله، والحكمة حكمته، سبحانه وتعالى.**

**نعم أيها الإخوة، إن هذه الأحداث الثلاثة، تقول لكل مَن يشهد أقدار الله في نفسه وفي غيره، وفي أمته مما ظاهرها لا يسرّ الناظرين، تقول له:**

**إنك قد ترى أن لا خير في بعض أقدار الله التي تقع ولا تسرّ الناطرين في ظاهرها، أقول: نعم، قد لا ترى فيها خيرا لك أنت، ولكن حكمة الله تقول: إن فيها خيرا عظيما لغيرك، فلا تتّهم الله في قضائه. فموسى عليه السلام المراقب للحدث، رأى في ظاهر فعل الخضر عليه السلام أنْ لا خير له هو في تدمير أموال المساكين، ولكن حكمه الله تقول إن فيها خيرا لغيرك يا موسى.**

**نعم أيها الإخوة، إن هذه الأحداث الثلاثة، تقول لكل مَن يشهد أقدار الله في نفسه وفي غيره، وفي أمته مما ظاهرها لا يسرّ الناظرين، تقول له:**

**أنك قد ترى أن لا خير في بعض أقدار الله التي تقع ولا تسر الناظرين في ظاهرها، أقول لك: نعم. قد لا ترى فيها خيرا في زمنك ولجيلك الذي تعيشه، ولكن حكمه الله تقول: إن الخير يكمن فيها للأجيال القادمة، وللأزمان اللاحقة، فموسى عليه السلام، رأى أن لا خير في بناء الجدار، ولكن حكمة الله كانت تخبىء تحت هذا القدر الخير، كل الخير، للأجيال القادمة.**

**نعم أيها الإخوة، إن هذه الأحداث الثلاثة، تقول لكل مَن يشهد أقدار الله في نفسه وفي غيره، وفي أمته مما ظاهرها لا يسرّ الناظرين، تقول له:**

**أنك قد ترى أن لا خير في بعض أقدار الله التي تقع ولا تسر الناظرين في ظاهرها، أقول لك: نعم. قد لا ترى فيها خيرا ماديا فقط، ولكن حكمة الله تقول: إن فيها خيرا دينيا وإيمانا وفكريا، مدخرا لك أو لغيرك، فموسى رأى أنْ لا خير مادي في قتل الغلام، ولكن حكمة الله كانت تخبىء تحت هذا القدر خيرا دينيا وإيمانا لأهل الغلام المقتول ومَنْ حوله، فلا تتعجّل في الحكم على أقدار الله، ولا تتسرع في اتهام الله في قضائه، ولا تقل ما يغضب الله، ولكن قل: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾.**

**صلى عليك الله يا رسول الله، لقد كنت سيدا المستسلمين لله في أقداره، وكنت سيد المؤدبين مع الله في أقضيته. ففي صحيح البخاري، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: (يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ)، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ). قال البغا: "(ظئرا) زوج مرضعته وهي خولة بنت المنذر الأنصارية النجارية. (تذرفان) يجري دمعهما. (وأنت) تفعل كما يفعل الناس عند المصائب. (بأخرى) أتبع الدمعة بأخرى أو بالكلمة التي قالها بأخرى".**

**(وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا)، لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم- وحاشاه حاشاه- لماذا يا رب فعلت ذلك بابني، لم يقل: لماذا الله متسلط عليّ وعلى أسرتي، لم يقل: فوق إني عبد ملتزم ومع ذلك فالله يبتليني، ويقبض روح ابني الوحيد أمام عيني، حاشاه، بل قال: (وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا).**

**ومن يدريك يا أيها المؤمن: فلعل في موت الابن، رحمة له من عناء الدنيا الذي كان سيلقاه. ومن يدريك: فلعل في موته، قطعا لطريق الشر الذي كان سيسلكه. ومن يدريك: فلعل موته، سيكون سببا في دخولك الجنة، يوم تلقى ربك، ويوم تلقى ابنك. ففي الحديث الحسن، في سنن الترمذي، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي سِنَانٍ، قَالَ: دَفَنْتُ ابْنِي سِنَانًا، وَأَبُو طَلْحَةَ الخَوْلَانِيُّ جَالِسٌ عَلَى شَفِيرِ القَبْرِ، فَلَمَّا أَرَدْتُ الخُرُوجَ أَخَذَ بِيَدِي، فَقَالَ: أَلَا أُبَشِّرُكَ يَا أَبَا سِنَانٍ؟ قُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: حَدَّثَنِي الضَّحَّاكُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَرْزَبٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ). فأنت لوا امتلكت ألف ولد، مع كل ولد ألف خزنة، ما كان ذلك ليكفي في أن يضع لك جحر الأساس في قصر الحمد هذا، هناك في الجنة.**

**أيها بالمؤمنين بالله أحكم الحاكمين:**

**إن العبد قد يسأل الله عز وجل أمرا من أمور الدنيا، أو قد يتمنّى الواحد أن يحقّق الله له أو لأحد أحبابه، أمنية دنيوية، وقد يسْأل الله ويسْأل ويتمنّى ويلّح في السؤال، ويرى أن الخير كلّ الخير في أن يعطيه الله سُؤْلَه، وأن يحقق له أمنيته، ومراده، ولكن العبد يجد بأن الله تعالى قد لا يحقق له ما تمناه وسأله من أمور الدنيا المادية، هذا إن لم يكن حصل معه، عكس ما سعى إليه. فلا اعتراض على قدر الله، فهو سبحان الحكيم وهو المعطي المانع، فما أعطى الله العبد سُؤْله إلا لحكمه، وما منعه إلا لحكمه ومصلحة.**

**ومما يدل على أن الله قد يعطيك أو يمنعك، لحكمة أو لخير هو يعلمه وسبحانه وأنت لا تعلمه: (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) (الأعراف،188). قال السعدي: "(قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا) فإني فقير مدبر، لا يأتيني خير إلا من الله، ولا يدفع عني الشر إلا هو، وليس لي من العلم إلا ما علمني الله تعالى. (وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) أي: لفعلت الأسباب التي أعلم أنها تنتج لي المصالح والمنافع، ولحذرت من كل ما يفضي إلى سوء ومكروه، لعلمي بالأشياء قبل كونها، وعلمي بما تفضي إليه. ولكني- لعدم علمي- قد ينالني ما ينالني من السوء، وقد يفوتني ما يفوتني من مصالح الدنيا ومنافعها، فهذا أدل دليل على أني لا علم لي بالغيب. (إِنْ أَنَا إِلا نَذِيرٌ) أنذر العقوبات الدينية والدنيوية والأخروية، وأبين الأعمال المفضية إلى ذلك، وأحذر منها".**

**فهنا، لوحقق الله لها أمنيتها في ابنها لكان شرا لها ولابنها، ولكن الله تعالى لم يحقق لها ذلك لعلمه بالخير لها ولابنها، ولذلك أنطق الله هذا الرضيع بكلام في خفاياه حكمة الله في أقضيته وأقداره.**

**نعم، أيها المؤمن بالله أحكم الحاكمين، إن الله قد يمنع عنك لعاعة من الدنيا تسعى وراءها، يمنعها عنك ليمنع تسرّب دينك وخسارة إيمانك، ليمنع تسرّب الخشوع من قلبك، ليمنعك من التسرّب من المسجد، ليمنع تسرّب الدين والصلاح من بيتك ومن حياتك.**

**﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾.**

**أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم**

**الخطبة الثانية:**

**الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:**

**أيها الإخوة المؤمنون: إننا نسمع بين وقت وآخر، تساؤلات وإن شئت قلت اعتراضات على الله، بل إن شئت قلت إساءة ظن بالله وتطاولا وتجرؤا على مقام الربوبية، حيث يقول بعضهم، وتحت عنوان عريض: لماذا لم ينصرنا الله، لماذا لا ينصرنا الله، حتى قال بعضهم بالحرف الواحد إن الله الآن واقف مع الكفار ضدنا نحن المسلمين، والبعض إن لم يقل ذلك بلسانه فإن نفسه تحدثه بها أو بمشتقاتها من الاعتراضات على الله، وإساءات الظن بأفعاله سبحانه.**

**أيها الإخوة: أقول لأصحاب هذه التساؤلات والظنونات والاتهامات في حق الله أقول لهم: لماذا تطرح هذه الاعتراضات والتساؤلات وتحذف أجوبتها؟ لماذا لا تقرأ السؤال كاملا وتقرأ إجابته كاملة من القرآن، من كلام الله: (قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ)(آل عمران،155). (قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا) لماذا يحصل لنا هذا؟ لماذا لا ننتصر؟ الإجابة: (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ). "أنفسكم هي السبب، مجتمعم هو سبب، دولتكم هي السبب، أحوالكم هي السبب. أنتم من أخلّ الشرط والعهد مع الله، ومع رسول الله عليه سلم، فما كان إلا أن انطبقت عليها سنّة الله وتحققت فيها. كما في صحيح مسلم، قول النبي صلى الله عليه وسلم، في الحديث القدسي: (فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ).**

**يا عبدَالله: إذا حيرتك أقدار الله وأقضيته وأعياك التسليم لحكمته سبحانه، فبدلا من سوء الظنون بالله، اقرأ وتأمل وتدبر وافْقَه حقيقة قول الله: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ)(الشورى،30). (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ)(آل عمران،140). (وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ)(آل عمران،154). (أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ)(التوبة،126).**

**اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خاصة.**